

بل نحتاج للمزيد من عيادات الطب النفسي

سعادة رئيس تحرير صحيفة الجزيرة أ.خالد المالك سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فقد نشرت صحيفة الجزيرة في عددها رقم 14127 الصادر يوم الجمعة غرة شهر رجب لعام 1432 هـ مقالاً للأستاذ عبدالعزيز بن صالح العسكر بعنوان (متى نغلق العيادات النفسية) .وإذ أحیی أ.عبدالعزیز علی نیته الطيبة في إرشاد الناس للتمسك بأهداب ديننا الحنيف فإن مقاله هذا حفزني لتوضيح بعض المفاهيم التي تلتبس على بعض من كتابنا الكرام حول ماهية الأمراض النفسية :

أولاً: تصيب الأمراض النفسية قرابة 33% من الناس في العالم ،وهذه النسبة مطردة في شرق العالم وغربه .ويصل عدد هذه الأمراض بحسب التصنيفات العلمية لما يقارب الثلاثمائة مرض، وتتراوح في شدتها من أخفها كالرهاب المحدد (رهاب الطيران، المرتفعات.....الخ) إلى أشدها وطأة كمرض الفصام العقلي.

ثانياً :تتعدد مسببات الأمراض النفسية وتختلف بحسب أنواعها ،وغالباً ما تتضافر أسباب جينية وبيولوجية وضغوط نفسية واجتماعية لإظهار المرض .ولعلي هنا أضرب مثلاً لدور العامل الجيني في الإصابة بالاضطراب الوجداني ثنائي القطب (النوع الأول) فنسبة الإصابة لدى عامة الناس 1% ،وتزيد لدى الأبناء إذا كان أحد الأبوين مصاباً إلى 20%، أما إذا كان كلا الأبوين مصاب بالمرض فإن نسبة إصابة الأبناء تصل إلى 60% .وإذا كان أحد التوأم المتشابه (من بويضة واحدة) مصاباً بالمرض فإن نسبة إصابة التوأم الثاني تصل ل 70% . وكما هو الحال في عدد من الأمراض كالسكري مثلاً فليس هناك جين وحيد مسبب لمرض الاضطراب الوجداني ثنائي القطب (النوع الأول) بل هناك عدة جينات مصابة تتفاعل مع بعضها ومع عوامل بيولوجية وضغوط نفسية واجتماعية لكي يصاب الانسان بالمرض.

ثالثاً: ما حجم تأثير هذه الأمراض النفسية على المصابين بها والمجتمع ككل؟! .للأسف فإن الإجابة مفزعة.فقد أكدت دراسات منظمة الصحة العالمية أنه بحلول عام 2020 سيصعد مرض الاكتئاب الحاد من المرتبة الرابعة للمرتبة الثانية خلف مرض شرايين القلب التاجية في قائمة أشد الأمراض فتكا بالبشرية من ناحية حجم انتشارها وإعاقتها للمصابين بها. وهناك أربع أمراض عصبية ونفسية أخرى بالإضافة لمرض الاكتئاب الحاد تحتل مقعداً ضمن قائمة العشر أمراض الأولى من ناحية حجم انتشارها وشدة إعاقتها للمصابين بها . ومما يزيد الطين بلة أن بعض الأمراض النفسية كالإكتئاب يفاقم من نسبة وشدة الإصابة ببعض الأمراض الجسدية والعكس صحيح. وكمثال لذلك فقد أكدت عدة دراسات مسحية عالمية أن مرض الاكتئاب الحاد يزيد من نسبة تكرار الجلطات القلبية المميتة من ضعفين إلى خمس أضعاف. ولتفسير هذا التشابك بين مرض الاكتئاب وجلطات القلب فقد أشارت الدراسات لزيادة تخثر الدم ونسبة الالتهابات واضطراب الجهاز العصبي اللاإرادي لدى مرضى الإكتئاب مما يفاقم مرض شرايين القلب التاجية. وللأسف ما زالت نسبة الميزانيات المرسودة لعلاج الأمراض النفسية وتأهيل المصابين بها دون المستوى المطلوب في أنحاء كبيرة من العالم ولذلك تخسر الولايات المتحدة الأمريكية قرابة سبعمائة مليار ريال سنوياً بسبب ضعف إنتاجية مرضى الاكتئاب. فيا ترى كم تخسر بلادنا بسبب قلة الاهتمام بتشخيص وعلاج مرض الاكتئاب وغيره من الأمراض النفسية؟!!

رابعاً: لا شك أن قوة الايمان بالله وبقضائه وقدره تخفف من وطأة الاصابة بكافة الأمراض جسدية كانت أو نفسية. لكن ما هو مؤكد كذلك أن أي إنسان مهما كانت قوة إيمانه فهو معرض للإصابة بجميع الامراض بلا استثناء وهي جزء من ابتلاء الله لعباده. وقطعاً لم يحجر الشارع الحكيم على الناس أن يصابوا بمشاعر الحزن والخوف والغضب وإنما نهوا عن السلوكيات المصاحبة والتي باستطاعتهم تفاديها كاطلاق عبارات التسخط وبعض سلوكيات الجاهلية كشق الجيوب وغيرها. وقد بكى النبي صلى الله عليه وسلم على وفاة ابنه إبراهيم وقال(وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون). وحزن يعقوب عليه السلام حتى ابيضت عيناه على فراق ابنه يوسف .وكان النبي صلى الله عليه وسلم يغضب إذا انتهكت محارم الله ولايقول إلا حقاً. وبدلاً من كبت هذه

المشاعر وهو أمر محال فقد كان المنهج النبوي يسلي المحزونين والمهمومين بقوله صلى الله عليه وسلم (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها). ومع وضوح هذا الأمر فما زال بعض دعائنا ومتقينا يثرب على من تطيب عند طبيب نفسي ويصادر مشاعر وأحاسيس من ابتلوا ببعض هذه الأمراض. والأسوأ من ذلك أن تداع مثل هذه الآراء على منابر شرعية أو تنشر في صحف سيارة.

خامساً) لم يجد نبينا صلى الله عليه وسلم غضاضة في أن يصف علاجاً حسيّاً لمشاعر حزن طبيعية كما ورد في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن نبينا صلى الله عليه وسلم كان ينصح باستعمال (التلبينة) وهي حساء يصنع من الدقيق لمن أصابه حزن على وفاة قريب . وكان يقول عليه الصلاة والسلام (التلبينة مجمة لفؤاد المريض تذهب ببعض الحزن). وقياساً على ذلك فإذا كان المنهج النبوي ينصح بعلاج حسي لمشاعر حزن طبيعية فإن استعمال الأدوية النفسية المثبتة بدراسات علمية محكمة لعلاج الأمراض النفسية أمر محمود بلا شك ولهذا السبب فإن كبار علمائنا وعامة متقينا ونسبة متزايدة من الناس في الوقت الحاضر يؤكدون على أهمية التطبيب في العيادات النفسية لمن احتاج لذلك.

وأخيراً . لقد ورد في الحديث ( من تطيب ولم يعلم منه طب فهو ضامن ) ، وأعتقد أنه من أفتى بغير علم بأمور طبية سواء بصرف دواء أو منع غيره من أخذ دواء فقد يقع في طائفة المسائلة سواء في الدنيا أو في الآخرة... والله أعلم.

ولكم خالص شكري وتقديري

د. فهد بن دخيل العصيمي

أستاذ مساعد-كلية الطب-جامعة الملك سعود

استشاري الطب النفسي الجسدي

1432-7-4 هـ